

الغربة في الشعر العربي (الشاعر العراقي المهاجر نموذجاً)

جعفر دلشاد^١، عبدالغني ايرواني زاده^٢، حامد صدقي^٣، سيد عدنان اشكوري^٤

تاريخ الوصول: ١٤٢٨/٨/١١ تاريخ القبول: ١٤٢٨/٩/٥

لمصطلح الإغتراب مدلولات عديدة و متباينة أحياناً في العلوم الإنسانية، و من هذه المفاهيم: الشعور بالغربة و عدم التجانس مع المجتمع نتيجة للظروف السياسية و الاجتماعية و الثقافية. و قد ينعكس هذا الإغتراب على سلوك الفرد و تعامله مع الآخرين و على أسلوبه في الحديث، خاصة إذا كان الفرد من طبقة الشعراء أو الفنانين. و الأدب العربي من بداية نشأته و حتى يومنا هذا حافل بأنواع الإغتراب الذي كان يعانيه الشعراء في الظروف المختلفة.

تعرض هذه الدراسة نماذج من الإغتراب في الشعر العربي و أسبابه و من ثم تعرّج على دواعي الإغتراب في البلاد العربية المعاصرة، و هي عبارة عن: التجزئة و التفتت الإجتماعي حيث سيادة فئة قومية أو طائفية على الباقي، هيمنة الدولة على المجتمع و انعدام المجتمع المدني، تسلط الأنظمة الإجتماعية القسرية، كالأحزاب الحاكمة و القبائل و العشائر البدوية و ما شابه ذلك، الإستغلال الطبقي و الظلم و الحرمان و القهر و وجود فجوات عميقة بين الضعفاء و الفقراء من ناحية، و الأثرياء و الأغنياء من ناحية أخرى، التبعية و السيطرة الخارجية على الموارد العربية بالتنحالف مع الحكام و الطبقات المهيمنة، طقوسية الماضوية اللاعقلانية. و في الختام يتناول المقال نماذج من الإغتراب في شعر المهاجرين العراقيين، حيث يعدّ أهمّ سمة تميّزه عن غيره. و يبدو أنّ شعر هؤلاء يشترك في ثلاثة أنماط من الإغتراب هي: الإغتراب المكاني و الإغتراب الزماني و الإغتراب السياسي.

الكلمات الرئيسية: الإغتراب، شعر المهاجر العراقي، دواعي الإغتراب.

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة اصفهان، البريد الإلكتروني: delshad@fgn.ui.ir.

٢. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة اصفهان

٣. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت معلم.

٤. طالب في مرحلة الدكتوراه، قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة اصفهان، البريد الإلكتروني: eshkewaree@yahoo.com

مظاهر الغربة في الشعر العربي

ليست ظاهرة الغربة منحسرة على الشعر والأدب، فهي قديمة قدم الإنسان، فضلاً عن ظهورها في طبّيات الشعر العربي وأنشودات العرب و ملاحظهم. إنّها ظاهرة مرتبطة بالنفس الإنسانية وما يعترها من آلام وشجون؛ ومنها الغربة بآمناطها المختلفة.

و يبدو أنّ الإنسان منذ بدأ يضرب في الأرض، قد حمل بين جوانحه ضروباً من الإحساس بالغربة، التي أضفت طابعها الخاص على جوانب كثيرة من أدبه.

ولعلّ أبرز مظهر لهذه الغربة وقوف الشعراء الجاهليين على الأطلال في مقدّمات قصائدهم يندبون غربتهم بعد أن أقوت الديار ورحل أهلها عنها، من ذلك مقدّمة لبيد في معلّته حيث تقطّعت الأسباب بينه وبين نوار:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا

بِمِئِيٍّ تَأْبَدُ غَوْلُهَا فَرِحَامُهَا

دَمِنَ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنْسِيهَا

حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا

(البستاني: ١٩٩٣م، ج ١/١٠٣)

وكما هو الأمر في معلّقة النابغة حيث «أقوت» دار مية «وما بالربع من أحد» وقد «أضححت خلاء» بعد الأناس والحركة والحياة و«لا ارتجاع» لكل هذه الأحلام لأنّها جزء من الماضي الذي ابتلعه العدم:

يا دار مية بالعلياء فالسند

أقوتُ وطالَ عليها سالفُ الأمدِ

وقفتُ فيها أصيلاً كي أسألها

عيتُ جواباً وما بالربيعِ من أحدِ

أضححتُ خلاءً وأضحى أهلها احتملوا

فأخنى عليها الذي أخنى على لبدِ

عد عمّا ترى إذ لا ارتجاع له

وانم القتودَ على عيرانة أُجدِ

(المصدر السابق/٢١٣)

فالإغتراب هنا كامن في فقد الأحبة ومذاق الحياة، إنّه معادل موضوعي للعقم والجذب وهذا ما تقتضيه بيئة الشاعر القاحلة التي لا تعرف الخصب والعطاء. وإلحاق الشعراء على هذا المعنى في مطالع قصائدهم يوحي بإحساسهم الشديد بفسحة الغربة بل بكارثة الحياة التي تسيطر عليها قوى القدر، تبطش بهم فتفرق بين القبائل والمحبيين وهي قوى لا يمكن للشاعر أن يسيطر عليها أو أن يزحزحها ولو بمقدار قليل. ومحاولة التخلص الوحيدة التي يملكها إزاء هذه الغربة، هي ركوب ناقته ليرحل فينسى كما يقول طرفة:

وإني لأمضي أهما عند احتضاره

بعوجاء مرقال ترؤخ وتعتدي

(المصدر السابق/٥٨)

أي أنّه يقابل الغربة بإغتراب آخر. أمّا دوافع الغربة في الجزيرة العربية فليست بقليلة. فالعصر الجاهلي معروف بقساوة بيئته التي جعلت من سكان البادية يقتاتون طعامهم أينما وجدوا الماء والكلاء. وهذا يستلزم ترحالهم المستمر من حي إلى حي ومن واد إلى واد. فأعقب هذا الترحال الكثير من الحسرات على الأمكنة المختلفة، فترى الشعراء وكأنّ الواحد منهم قد نعت إليه روحه، فأبياتهم طافحة بمعاني الغربة من بعد هجرة الأحبة. ومما كان يساعد على اغتراب الإنسان العربي أيضاً، نزوح الشاعر عن قومه ووطنه كما هو الحال بالنسبة لامرئ القيس، فقد هام شريداً يبحث عمّن يستعين به في استرداد ملك أبيه والأخذ بثأره، حتى وصل إلى بلاد الروم في قصته المشهورة، وهناك أحسّ بقرب منيته بعد أن امتلأ جسمه بالقروح، فرويت له أبيات تفيض لوعة ووحشة يقول فيها:

أجارتنا إن المزار قريبُ

وإني مقيم ما أقام عسيبُ

أجارتنا إنا غريبان هاهنا

و كل غريب للغريب نسيبُ

(الإصهاني، الأغاني: ج ٩/١٠١)

قليلٌ ذنبُهُ والذنبُ جَمٌّ

ولكن للغني ربٌّ غفورٌ

(المصدر نفسه)

لكن اغتراب عروة بن الورد لم يكن إلا تجاه أقاربه الذين تنكروا له، أما الفقراء الذين كانوا يعولون في العيش عليه و اتخذ هو طريق الصلعة من أجلهم وعاش حياة مشردة نتيجة الغزو و سلب الأحياء ليشبعهم فهم ليسوا بغرباء عنه. فإذا ما سئل إلى أين يذهب؟ يجيب في حكمة، و في شعر خصم بروح الغزو، و الوفاء لأصحابه و أصدقائه و للناس الفقراء :

إذا المرء لم يبعث سواماً ولم يرح

عليه و لم تعطف عليه أقاربه

فللموت خيرٌ للفتى من حياته

فقيراً و من مولى تدب عقاربه

وسائلة أين الرحيل وسائل

و من يسأل الصعلوك أين مذاهبه

مذاهبه أن الفجاج عريضة

إذا ضن عليه بالفعال أقاربه

فلا أترك الإخوان ما عشت لردى

كما أنه لا يترك الماء شاربه

(البستاني: مصدر سابق/ ٣٤)

تقول بنت الشاطئ في حديثها عن الشعراء الصعاليك

الذين نبذهم قبائلهم فهموا في الفلوات :

«نحس تلك المرارة التي تفيض بها مشاعرهم وهم يهيمون على وجوههم في الفلوات، أحراراً فيما يبدو، ومشردين غرباء في الواقع، فإننا نلتفت إلى ما ترك الخلع في وجدانهم من أثر عميق نافذ، سجّلته أشعارهم المشحونة بأشجان الغربة ووطأة الوحدة النفسية، وقسوة الحرمان من السكن و الأهل والدار. بل إن سلوكهم نفسه كان يطوى وراء الإستهانة بالحياة، والإنطلاق في الفضاء العريض، والمغامرة الفتاكة المثيرة،

ويندرج الصعاليك في طائفة المغترين في العصر الجاهلي إن كانت غاراتهم على القبائل وأحياء العرب وعيشتهم حياة التشردم والفقير، بل ووقوفهم إلى جانب الفقراء من الناس، سبباً رئيسياً لتبرؤ القبائل منهم وإنكارها لهم. فعاشوا في غربة مضاعفة ظهرت في طبّات أبياتهم الشعرية. إن حياة المغامرة الدائمة لطائفة الصعاليك، تعني الثورة على كل ما هو قائم، وكانت تلك الطائفة تعمل من أجل إعادة التوازن الاجتماعي المفقود للبيئة الجاهلية.

إن الجوع - أبا الكفار - هو الذي قاد تلك المسيرة، وأشاع جواً من الخوف في بيئة الجاهلية القاسية. والفقير الذي ألم الصعاليك وغيرهم من البشر كان المحرك الأول لتلك الظاهرة، أضف إلى ذلك عوامل الجنس واللون والعرق والموقع الاجتماعي. فخذ مثلاً عروة بن الورد رئيس الصعاليك؛ فأول ما يلفت النظر في شعره الطموح إلى الغنى. وأي غنى يصيب إنساناً مثله، إنساناً جعل حياته وقفاً للفقراء والمساكين والمشردين المقهورين بسبب القمع الاجتماعي القائم، والنظام القبلي الذي لا يرحم.

والطموح عنده يقترن بالإغتراب. وهذا ما حدّر منه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب حينما قال لمعلم ولده أن لا يروي لهم أبيات عروة لأنها تدعوهم إلى الإغتراب عن أوطانهم. (مروّة: ٨٠/م ١٩٩٠) يقول عروة :

دعيني للغني أسعى فيأتي

رأيت الناس شرهم الفقير

و أبعدهم وأهونهم عليهم

وإن أمسى له حسبٌ وخيرٌ

و يقصيه الندي وتزدرية

حليلته وينهره الصغير

ويُلقي ذو الغنى وله جلالٌ

يكاد فؤاد صاحبه يطير

إلا أن الشاعر الأسود كان لا يملك إلا أن يكون صوت احتجاج على الحياة من حوله وعلى مأساته نفسها (المصدر السابق/٢٢٤).

وبعد ظهور الإسلام واتساع رقعته الجغرافية هاجر كثير من العرب إلى البقاع الجديدة إما مع جيوش الفتح الإسلامي وإما في مهمات إدارية وسياسية مصطحبين الولاة والأمراء ليكونوا لأنفسهم جاليات عربية، محتفظة في تلك البيئات الجديدة بروحها العربية البدوية وألوان حياتها وأنماط عيشها. ومن الطبيعي أن نجد لهؤلاء شعراً يفيض بالحنان والشعور بالغربة والعاطفة نحو البلاد التي نشؤوا فيها. من ذلك شعر عوف بن محمّل الخزاعي الذي خرج من الجزيرة وتنقل مع الطاهر بن الحسين ثلاثين عاماً ثم مع ولده عبد الله. فاشتد به الحنين إلى وطنه ورغب في العودة ولكنه لم يُجِبْ لطلبه فازداد إحساسه بالغربة بعد أن دهمته الشيوخوخة فتلهف للإستراحة من رحلة الحياة بالعودة:

أفي كلّ عام غربة و نزوحُ ؟

أما للتوى من وئبة فتريحُ ؟

و أرقني بالريّ نوحُ حمامة

فَنَحْتُ و ذو اللبّ الحزين ينوحُ

على أنّها ناحت فلم ترَ عبرة

و نُحْتُ و أسرابُ الدموع سفوحُ

و ناحت و فرخاها بجيث تراهما

و من دون أفرأخي مَهَامُهُ فيحُ

ألا يا حمام الأيك فرحك حاضرُ

و غصنك ميّاد فقيم تنوحُ

(فهيم: ١٣٥/١٩٦٥)

وقد يكون الشاعر أحياناً بين قومه وفي وطنه ولم يضرب في الأرض، وهو رغم هذا كله يعاني الإغتراب، ذلك أنه لا يتجانس مع قومه ويشعر بالتفرد لأنه لا يشاطرهم عقائدهم أو

سخرية مريّة بالحريّة الفردية، وشعوراً عميقاً بالتمزق والضياع» (بنت الشاطي: ١٩٧٠م/٣٦).

والشغرى أيضاً شاعر آخر من الصعاليك، عُرف أيضاً باغترابه الشديد و يروى أنه اعتزل قومه وحلف أن يقتل مائة منهم، فصار يعيش مع الوحوش ويفخر بأن يكون كالدب الجائع الوحيد ويجيا حياته ويصبر على شظف الحياة الإنزالية التي اختارها لنفسه. يقول :

أقيموا بني أمي صدورَ مَطيِّكم

فإنّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأُمِيلُ

وفي الأرضِ منأى لِلكَرِيمِ عَن الأذى

وفيها لمن خاف القلى متعزلاً

ولي دونكم أهلونَ سيّدَ عَمَلَسُ

وأرقتُ زهلولٌ وعرفاءُ جِيَالُ

همُ الأهلُ لا مُستودِعُ السرِّ ذائعُ

لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخَذَلُ

(البستاني: المصدر السابق/٥)

ثم إن المجتمع الجهلي المعروف بنظامه القبلي القائم على العصبية والفوارق الطبقيّة الصارخة كان خير سبب لظهور الإغتراب لدى الشريحة المغلوبة على أمرها. فذاك عنترة العبسي رغم ما تحلّى به من خصال الفروسية والشجاعة والقدرة على إنشاد الشعر بأرقى أنماطه كان يعاني الإغتراب بنوعيه النفسي والإجتماعي. فلونه الأسود كان عائفاً يحول دون بلوغه طموحاته وآماله. (بدوي: ١٩٧٣م/٣٥)

وعلى الرغم من اختفاء النظرة العنصرية إلى الإنسان الأسود عند مجيء الإسلام لأن الإسلام عمل على تغيير النظرة السائدة وعلى رفع معنويات السود بحيث سوى بينهم وبين البيض، إلا أن عقدة الإحساس باللون بقيت ماثلة في نفسيات هؤلاء. فهؤلاء كانوا يرون أنفسهم وأهلهم يُهانون، ومع أن الإهانة كانت تختلف من عصر إلى عصر ومن شاعر إلى شاعر

بل يمكن القول إن غالبية الشعراء كانوا يعانون الاغتراب بشكل من أشكاله، فالإغتراب عامل إبداع مهمّ وخصب.

أسباب الإغتراب في المجتمع العربي المعاصر

الإغتراب كما ذكرنا من قبل حالة إنسانية تعترى بني البشر، ومن هنا فمن الصعب تحديدها وتبيين معالمها. كالفيل الذي استشهد بقصته مولانا جلال الدين البلخي في المثنوي، كان في صالة حالكة الظلام فدخل رجال ليتعرفوا إليه وجعل كلّ يلمسه في جانب من جسمه وخرجوا بتصويرات متفاوتة عنه لا يكاد الواحد ينطبق مع الآخر. فالإغتراب أيضاً شأنه شأن كل ظاهرة إنسانية يصعب تحديدها ولذلك لم يعط الباحثون آراء دقيقة ومتقاربة عنه ولا عن أسبابه. ولعلّ أكمل دراسة لظاهرة الإغتراب في البلدان العربية هي تلك التي قام بها الدكتور حلیم بركات؛ إذ يعزو اغتراب الطبقة المثقفة في البلدان العربية لستة أسباب هي :

- 1- التجزئة والتفتت الإجتماعي، حيث تسود المصالح القبلية والمحسوبيات الأسرية على المجتمع مما تنعدم في ظلّه إمكانية الخروج على الأعراف والتقاليد السائدة.
- 2- هيمنة الدولة على المجتمع وانعدام المجتمع المدني، حيث لا نجد بلداً عربياً تسلّم رئيسه السلطة من خلال السبل الديمقراطية أو باختيار الشعوب. بل العكس لم يأت رجال السلطة إلا من خلال الانقلابات العسكرية أو دعم القوى الإستكبارية.
- 3- تسلّط الأنظمة الإجتماعية القسرية، كالأحزاب الحاكمة والقبائل والعشائر البدوية وما شابه ذلك.
- 4- الإستغلال الطبقي والظلم والحرمان والقهر ووجود فجوات عميقة بين الضعفاء والفقراء من ناحية، والأقوياء والأغنياء من ناحية أخرى.
- 5- التبعية والسيطرة الخارجية على الموارد العربية بالتحالف مع الحكام والطبقات المهيمنة.

يجد نفسه محروماً من شأنه الذي ينبغي له. يقول أبو فراس الحمداني:

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ

وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

(الحمداني: ١٩٨٧/١٤٥)

وهذا ما حدث أيضاً مع أبي الطيب المتنبي حيث شبهه غربته بغربة المسيح بين اليهود أو النبي صالح بين قوم ثمود :
ما مقامي بأرض نخلة إلا

كمقام المسيح بين اليهود

أنا في أمة تداركها الله

غريب كصالح في ثمود

(البرقوقي: ٢٠٠٦، ج ١/٢٧٦)

ويصف أهل زمانه بشئى النعوت الذميمة ويرى نفسه مضطراً للعيش مع أعدائه ومصادقتهم فهذه نكبة الدهر القاسي:

أذمّ إلى هذا الزمان أهيلهُ

فأعلمُهُم فَدَمٌ وَأَحْرَمُهُم وَعَدُوٌّ

وَأَكْرَمُهُم كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُم عَمٌّ

وَأَسْهَدُهُم فَهَدٌ وَأَشْجَعُهُم فِرْدٌ

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى

عدوّاً له ما من صداقته بُدٌّ

(المصدر السابق/ ٣٠٥ و ٣٠٦)

ويصل المتنبي إلى القمة في الإغتراب بقوله :

بِم التعلُّ لا أهلٌ ولا وطنٌ

ولا ندمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنٌ

أريدُ من زَمَنيَ ذا أن يُبَلِّغَني

ما ليس يُبَلِّغُهُ من نفسه الزَمَني

(المصدر السابق، ج ٢/٤٦٧)

٦- طقوسية الماضوية وثباتها حيث الصراع بين القلم والجديد (راجع بركات: ٢٠٠٦م/٦٠ و ٦١).

ولابدّ هنا من التذكير بأمرين مهمّين: أولهما كون الصراع القائم بين القلم والجديد سبباً للإغتراب بشكل عامّ، إذ ليست الماضوية سبباً للإغتراب في كثير من الأحيان، بل إنّ سيادة الأفكار الوضعية المستوردة من الغرب والتي لا تمتّ بأدنى صلة لطبيعة المجتمعات العربية ومحاوله تسويغ هذه الأفكار قسراً كما هو معروف لدى الأحزاب التي تزعم أنّها تقدّمية وترمي الآخرين بالرجعية، كان أهمّ عامل لبروز حالة الإغتراب.

والثاني أنّ العراق هو أهمّ بلد توفّرت فيه هذه الأسباب، خاصّة في الجانب القهري الذي اتخذته رجالات الحكم المنحدرون من منطقة معيّنة بل وقبيلة محدودة. فرجال السلطة ينحدر معظمهم من تكريت وأطرافها (العلوي: ١٤١١هـ/٢٧).

والجتمتع العراقي مكوّن من قوميات مختلفة كالأكراد والعرب والتركمان والآشوريين والفيليين... ومن أديان ونحل ومذاهب متفاوتة هذا فضلاً عن سيادة الإنتماء القبلي والبدوي فيه (الورددي: دراسة في طبيعة الجتمتع العراقي/٢٤) ثم يأتي انحصار الثروات والموارد الاقتصادية بيد الشركات التي يمتلكها رجال السلطة وذووهم ودخولهم في مهارات تجارية أيام كان البلد يحاصر اقتصادياً ويموت فيه الكثير من أطفال العراق جرّاء الجوع يوماً. وما محارسات القهر والاستبداد والقمع والملاحقة والتجنيد في حروب السلطة الخاسرة وصنمّية القيادة العراقية وتألّوها المتجبرّ بخافية عن عامّة الناس ناهيك عن المتابعين للشأن العراقي. كلّ ذلك شكّل أسباباً عديدة لبروز حالة الإغتراب لدى المثقفين العراقيين وبخاصّة شريحة الأدباء والشعراء.

يقول جبرا إبراهيم جبرا: « هذه الغربة الداخلية تتحكّم به [أي المثقف] أول الأمر، فتشخذ خياله وقلمه، وتدفعه إلى التعبير وربّما الإبداع، ثم تدفعه إلى اتخاذ الموقف الحادّ إيماءً أو صراحةً، ويتلوّن كل ما يكتب وكل ما يفكّر به بهذا التثبّت بالرأي،

وتدفعه الغربة إلى التمرد، والقلم مازال بيده. .. فيمسك المثقف هذا اللسان عن الكلام حين يرى إنسانيته لا تسجّم وعشائريّة الجتمتع، أو أنّ فكرته عن العدالة، بمعناها المطلق، لا تتفق وفكرة السلطة التي إنّما تعتمد القوانين والمراسيم، بحرفيتها وموضوعيتها، ولا يهتمّها أنّ المثقف يريد المداخلة في النقاش بالإعتراض، أو الرفض، أو المطالبة» (جبرا: ١٩٨٩م/٤٤).

ويذهب الدكتور بركات إلى أنّ النتائج السلوكية التي يسفر عنها الإغتراب تتراوح بين: ١. الإنسحاب أو العزلة. ٢. الخضوع أو الإستسلام. ٣. الثورة أو التمرد في سبيل تغيير الواقع (بركات: مصدر سابق/٥٩).

ونحن إذ نتابع تاريخ المعارضة العراقية وأساليب السلطة في التعامل معها على مدى العقود الثلاثة الأخيرة، نجد أنفسنا أمام حالة قلّ أن يشهد لها التاريخ مثيلاً، إذ جعلت السلطة الإنسان العراقي - وليس المعارضة وحسب - أمام خيارين لا ثالث لهما إمّا الرضوخ والاستسلام الكامل والعبودية التامة، وإمّا انتهاج سبيل العزلة والإنسحاب، من خلال انتهاج سبيل الهجرة إلى الخارج ومعالجة الإغتراب باغتراب آخر غيره. أمّا أن ينتهج المعارض المغترب نهج الثورة والتمرد في سبيل تغيير الواقع فهذا ما لم تدع له السلطة من مجال في ظلّ سياسات القمع العنيفة. إذ طالت عمليات التصفية أكبر الشخصيات الدينية والفكرية، كالمفكر والمرجع الشهيد الصدر، فضلاً عن سائر الناس. ولم يعد بإمكان المعارضة انتهاج سبيل التغيير والثورة على الأرض. والملفت للنظر أنّ السبيل الأول، أي الإنسحاب والعزلة أيضاً، صار ضرباً من اللاممكن في العراق في ظلّ نظام البعث. فحتى الذين اعتزلوا الواقع ولاذوا بالصمت والانسحاب، اضطروا فيما بعد للخضوع والإستسلام لسياسات السلطة اللامعقولة، والدخول في بوتقة صهر القوى الإنسانية المتمثلة بالحروب الطاحنة وحملات الإعتقال الواسعة وعمليات التهجير الجماعي (الأطفال)، والإبادة الشاملة والقبور الجماعية...

فلا زلت يا وادي الغريّ خميلةً
تمرّ عليها العاديات السواكبُ
(الوائلي: ١٤٢٤هـ، ج ٢/١٢٨)
وهو رغم ترحاب الشاميين واحتفائهم به، يتوق إلى أرض
الرافدين؛ وبقي هذا الحنين يلازمه لثلاثة وعشرين عاماً حتى
وافته المنية بعد عودته إلى العراق بأيام قلائل :

فجسمي بأرض الشام والروح عندكم
وقلبي إلى واديكم يتواثبُ
وإني وإن تحنو عليّ مرابع

وأهل بأرباض الشام أعاربُ
فإني كوفي الهوى تستميلي

بأرض الفراتين الرُّبى والمناكبُ
ولا أرتضي إلا الفرات وماءه

ونخلًا يناغيه الهوى ويناعب
هنالك جسمي والفؤادُ وأولي

وآخرُ ما أصبو له والمآربُ
(المصدر نفسه)

أما مصطفى جمال الدين الذي قضى نجه غربياً في الشام،
وحلم العودة إلى العراق وزوال كابوس البعد عن الوطن لم

يتحقّق له، فانه يشكو هذه الغربة والعيش بأرض المنفى رغم
كونه عزيزاً مكرّماً في سورية إلى حدّ ما :

واغتربنا فلم نجد في منافيـ
سنا بديلاً يلدّ فيه المذاقُ

قد شبعنا من الضياع وجعنا
من فتات لنا عليه استباقُ

وطنُ الناس تربة نبتها الـ
عزّ وقلبٌ يجبّهم حفاقُ

ضاع منا القلب الكبير وأمسي
ذكريات ذاك الثرى العباقُ
(جمال الدين: ١٩٩٥م/٢٩٧ و ٢٩٨)

وما يهمنّا هنا أنّ شريحة غير قليلة من أبناء الشعب
العراقي قد آثرت سبيل الهجرة لتجد متنفساً في بلاد
الغربة. وبطبيعة الحال فإنّ عدداً لا بأس به من هؤلاء،
ومعظمهم من الطبقة المثقفة هم من الشعراء والأدباء
الذين جعلوا ييشون شكواهم، وما تعتلج به صدورهم في
أبيات من الشعر ودواوين صدرت لهم، تتفق جميعها في
قضايا عديدة من حيث المفهوم والمحتوى، أهمّها الإغتراب،
والشعور بالحنين إلى الوطن، والتعني بأمجاده، ورتاء
جروحه العميقة.

من مظاهر الغربة في شعر المهاجر العراقي

١. الحنين إلى الوطن (الإغتراب المكاني): يشكّل الحنين إلى
الوطن قسماً عظيماً من اهتمام الشعراء المهاجرين من العراق.
حتى أنّ بعضهم عنون دواوينه بالوطن مثل مدين الموسوي
(كان لنا وطن)، وإبراهيم الأحمد النجفي (هل قلت شيئاً يا
وطن ؟) وبعضهم عنون قصائده بالوطن مثل مصطفى جمال
الدين (لرمادها ورماد الوطن)، وعبود الأحمد النجفي (الوطن
المسافر، عتاب مع الوطن)، وجواد جميل (ضاع مع الوطن،
صلاة من أجل الوطن). هذا بالإضافة إلى مسميات أخرى
توحي بهذا الحنين مثل أحمد الوائلي (إلى بلادي الحبيبة، مع
الفرات، بغداد جفّ الربيع الطلق، بغداد، وادي الغري)
ومصطفى جمال الدين (للإمام وللنجف وللإمام، مهلاً
ضفاف الرافدين)، والموسوي (يا أرض العراق)...

يقول الشيخ أحمد الوائلي في حنينه للوطن حيث القبة
الشامخة لمرقد أمير المؤمنين علي (ع) :

حنيني إلى وادي الغريّ وقبة
يعازلها نجم السماء ويلاعبُ

عليها لعابُ الشمس تبر وتحتها
أئمة عرفان وحبر وراهبُ

بالخيرات بحسب وجهة نظره. فيتذكر ذلك الماضي بشيء من الحسرة والألم.

وقد يكون الإغتراب الزماني بالتطلع نحو مستقبل واعد. فليس الإغتراب الزماني مقصوراً على حب الماضي، بل قد يكون بهواية المستقبل. أمّا نموذج التحسّر على الماضي فنجد في شعر الكثير منهم يتمثل في التوق إلى أيام الطفولة، فالوالتلي مثلاً يقول:

أمّي لو اسطعتُ إرجاع الزمان إلى الـ
ماضي لأثرت أن يبقى لي الصغرُ
مباهج لو جنان الخلد تلمحها

لأعلنت ها هنا الجئات والنهرُ

(الوالتلي / ٦٦)

إنّه يتذكر طفولته الحاملة في غير موضع من ديوانه، وذلك لما تحمله هذه الطفولة من وداعة وأحلام ولكونها بعيدة عن مسؤوليات الحياة الشاقّة:

عهود الصبا يا حلوة إن ذكرتها
فإن شفاهي من حلاها تَفَطَّرُ
وعهد الصبا ترنيمة أريحية

تذوق من أحلامنا وتعطرُ

فيا للصبا جفت لدانُ غصونه

وعاد يببسا عوده يتكسرُ

(المصدر السابق / ١٢٣)

وهذا اللون من الحنين إلى الماضي تجده في شعر عبود الأحمد النحفي أيضاً:

صَحَبُ الطفولة كم أنا أشتاقهُ

فكهلتي قد حطّمت أعصابي

وبراءة العمر النديّ وضحكة

عذراء ترفل بالصدى الخلاب

تلك البراءة ليبتها ما غادرتُ

يوماً ولا مرّت كمرّ سحاب

(الأحمد النحفي، عبود: ١١٣/١٩٩٧)

والنفي الذي تعرّض له البعض من هؤلاء المهاجرين غربة قاتلة تنغرز في أحاسيسهم كطعن الهاجر و ابراهيم الأحمد النحفي أحد هؤلاء فهو حين يطلّ برأسه من نافذة الشعر، ينكفي حزينا إلى كوة أعماقه، لأنّه لا يرى نسمة عراقية تتدلّى إلى صدره ولا يرى لوحة طفولة بريئة كان قد تركها بلعبة تنسرح برائحتها المتربة لتهدج جوع تشوقه ويأس السنين القاحلة، فالنفي وفق رؤيته موت، وليس انتقالاً مكانياً بين نقطتين متباعدتين، إنّه نقطة واحدة وقف عليها إبراهيم الأحمد بروحه وحلمه وذكرياته المتهيكلّة هناك في الوطن:

وتلفظني المسافات..

وتحمل قصّي الأشجار والأحداق والأمل

وأصرخُ من فوادي

إيه يا وطني

أما هزّتكَ آهاتي؟

ألم تسمع نداء الشوق يقتلني؟

ألا ترحم ندااتي؟ (الأحمد النحفي، إبراهيم: ٢٠/١٩٩٧)

إنّ الغربة لتفوق طاقة المرء، فيظلّ يتغنى بالوطن ويحلم به خاصّة عندما لا يجد في المنافي ضالته فيغادر مرفأً إلى آخر ويجرب شتى المدن والبلدان فلا يؤويه بلد يعوّض عنه بلده الأمّ:

«كان وجهي يحكي بغربته/وجه راع، في غربة المدن

عابراً من مرافق غرقت/لمرافق محروقة السفن

لا تخافي إن عدتُ محترقاً/بائعاً غنوتي بلا ثمن

سأعني أطفال حارتنا/وهم يللمون بالوطن!» (جميل:

١٩٩١ م/١٠٠ و ١٠١)

٢. الإغتراب الزماني: يشعر المرء في هذا النوع من الإغتراب بأنّ الزمان قد تعيّر عليه ولم يعد يعيش في الزمان المثالي الذي ألفه واعتاد عليه. ذلك أنّ كثيراً من الأعراف والتقاليد قد تعيّرت ولّفها ضباب النسيان. كأن يكون العهد السابق حافلاً

جدديها وابعثها ثانية

ذكريات تتمطى في خور

(المصدر نفسه)

ويصف مدين الموسوي الماضي وصفاً ملؤه الخير والمحبة والوئام ويراها حافلاً بأنواع الخير والبركات، ثم ينتقل إلى الزمن الحاضر لينعته بأشنع النعوت ويصفه بأنه ابن الشيطان فرّخه في العراق. يقول :

«كان لنا وكان/في غابر الزمان/كان لنا وطن/أفياؤه الخضراء كالجنان/سماؤه الزرقاء في آفاقها يحلقُ القرآن/ترابه يعبق بالعطر وبالندى/وفي رباه الخضراً والوديان/ترغد الطيور/فترجعُ الصدى/منابتُ الريحان/وكانت الضفافُ والجداول/تغازلُ السنابل/فتكشفُ الهمسَ الذي تبثه أسنة المناجل/وكانتِ الصبايا/كأنها المرايا/تنثر عند الصبح في حقولنا الجداول/فتنثر الحنان/في كلِّ قلب تنثر الحنان/وكانت الأطفال في حقائب المدارس/تخبي الأفعنة الداكنة الألوان/وعندما تعود للبيوت في الظهيرة/تلبسها لثزع الآباء/وكانت الصغار في بلادنا/ترسم في الجدران/أحلامها فتورقُ الجدران/ثم تغني بعدها/تعيش يا وطن/هالا هالا/ما أجمل الأوطان.

وبعدها/دار بنا الزمان/دورته ودارت الأيام/فرّخ في بلادنا الشيطان/وانتصبت في أرضنا الأصنام/فانطفأ القمر/وغارت النجوم/وهومت في الخيبة الأحلام/فجفت الحقول/وماتت السنابل/وكلّ شئ عمّة الذبول/وانكفأت بمائها الجداول/دار بنا الزمان/فجفت المراضع/واحترقت بدفئها الأحضان/وأقفر بالوحشة الشوارع/ولم يعد يداعب الخيال/مباسم الأطفال/أحرقنا بناره الشيطان/ما أظلم الأوطان!/حين يكون سلعة رخيصة/في سوقها الإنسان». (الموسوي، ١٩٩٢م/٦١)

أمّا التطلع إلى المستقبل الواعد فنجد له لدى الشعراء الملتزمين وأصحاب القضية من المهاجرين العراقيين وسواهم من أتباع

ويرى عبد الوهاب البياتي طفولته في باب الشيخ حيث البيت الغارق في النور، إشارة إلى وداعة الطفولة، مقارناً بينها وبين حاضره حيث تتقاذفه المنافي، جرحاً نازفاً، وبقايا أحلام محطمة، وكان طفولة الشاعر نور، وحاضره دم، يقول:

«حب من باب الشيخ ورائي/بمتد كخيطة مسحور/أمسكه فأرى بيتاً يغرق بالنور

أتطلع نحو الباب المغلق/في عيني طفل مبهور
أصرخ لكن الخيط المسحور/يصبح جرحاً في قلبي/ورماد بخور» (البياتي، ١٩٧١م، ديوان عائشة/٦٩)

أما بلند الحيدري فهو يعي طفولته المعذبة ولذا فهو حين يتذكرها، يستعيدها- كما كانت رمالاً وتلالاً من تراب. وعلى الرغم من ارتباط طفولته بالألم، والشقاء، فإن الشاعر يحاول أن يلتمس العزاء لنفسه، فلماذا النفور من الحاضر مادام شبيهاً بالماضي، يقول:

«بالأمس إذ كنا صغار/كم كانت الدنيا صغيرة/مازلت أذكر هاتيك السنين/تلك الدروب المعتمات/ضحك السكاري العائدين من الحياة/بلا حياة» (الحيدري، ١٩٧٤م/٦٧)

ولكنه يضيفي، أحياناً، على ماضيه ما ليس فيه من الجمال، والصفاء، ربما لكي يوجه ثقل اغترابه الراهن، بوهم الماضي اللامعتر، فليس الخلق الفني... في جميع تجلياته... إلا تعويضاً تصعيدياً عن رغبات غريزية أساسية ظلت بلا ارتواء بسبب عوائق في العالم الداخلي أو العالم الخارجي (راضي جعفر، ١٩٩٩م/٥٠)

يقول الشاعر :

حدّثني عن حياقي الماضية

فهي أنوارُ الشباب المندرّ

وأعدي لي صدى أيامه

يوم رفّت فوق آمالٍ غرّ

بهذا اللون من الشعر. وأسس مدرسة تدعو إلى نمط جديد من السهل الممتنع مما يعتمد على الأسلوب التهكمي الساخر والممزوج بمرارة الحقائق. إنه يصور الحالة الاغترابية خير تصوير. ويمكن تصنيف أسباب الاغتراب السياسي في شعر أحمد مطر كما يلي :

(أ) الحرية المصادرة: حيث لا يجد المثقفون وأصحاب الرأي السديد متنفساً ليعبروا به عن آرائهم بحرية وإليك النماذج:

«حَسَّ الطَّيِّبُ خَافِقِي/وَقَالَ لِي: هَلْ هَاهُنَا الْأُمُّ؟/قُلْتَ لَهُ نَعَمْ/فَشَقَّ بِالْمَشْرُطِ حَبِيبَ مَعْطَفِي/وَأَخْرَجَ الْقَلَمَ/وَقَالَ لِي/لَيْسَ سِوَى قَلَمٍ/فَقُلْتُ لَا يَا سَيِّدِي/هَذَا يَدٌ وَفَمٌ/رِصَاصَةٌ وَدَمٌ/وَقَمَّةٌ سَافِرَةٌ... تَمَشِي بِلَا قَدَمٍ!» (مطر، ٢٠٠١م/١٨)

ولا يفتأ مطر في جميع لافتاته يستخدم الأسلوب التهكمي الساخر، ليصور لك عمق الفاجعة التي خلقتها سياسات الاستبداد في البلاد العربية بوجه عام والعراق بوجه خاص، انظر لهذه اللافتة:

«شعرتُ هذا اليوم بالصدمة/فعندما رأيتُ جاري قادماً رفعتُ كَفِّي نحوهُ مسلماً/مكتفياً بالصمتِ والبسمة/إتني أعلمُ أنَّ الصمتِ في أوطاننا حكمة/لكنه ردُّ عليّ قائلاً/عليكم السلام والرحمة/ورغمَ هذا.../لم تسجّل ضدهُ قَمَّة/الحمدُ لله على النعمة/من قال ماتت عندنا حرّية الكلمة؟!» (المصدر السابق/٥١)

(ب) سياسة القمع: يصور مطر في لافتاته المشهورة سياسة القمع التي تمارس في كلّ البلاد العربية بشقّي الأساليب، فلا أحد ينكر ما آلت إليه سياسة التجسس وكتابة التقارير التي عمّمتها حكومة البعث على جميع من ينتمي للحزب، ليسلك سبل الرقيّ المادّي في المجتمع. كان لا بدّ لكلّ بعثي - سواء انتمى للحزب طوعاً أو كرهاً- أن يقدم تقريراً عن أقاربه وجيرانه وذويه أسبوعياً. (للمزيد راجع العلوي، المصدر السابق):

مدرسة أهل البيت (ع). إذ يبقى الشيعيّ يندب إمامه الغائب عن الأنظار ليل نهار وكلّ أسبوع. أوليس الإمام هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً؟ وهذا لعمرى زوال كلّ دواعي الاغتراب. حيث لا ظلم ولا استبداد. وحيث يعمّ الخير ربوع الأرض وتفيض الخيرات ويعيش الجميع الأخوة الإسلامية والإنسانية بمعناها الحقيقي. يقول مدين الموسوي في ديوانه أوراق الزمن الغائب :

مدّ للحقّ ذراعاً وحُساماً

يومك الآتي فحيّاه مضاماً

باتَ يستجليكَ حدّاً قاطعاً

بعدهما حَزَّ به القيدُ عظاماً

وغدا ينتظرُ الفجرُ على

شمسٍ كَفِيكَ ويستجلي الغماماً

وهو يدري أنّما الغائبُ في

وسطِ الدربِ سيأتيه لزاماً

كلّما ضاقتُ به أيّامه

ذكر الوعد فأرخاه وهاماً

هذه الأيامُ مهما أنقلتُ

المأ وارتادها الظلم سناماً

فهني حُبلى بك لا بدّ لها

ساعة لليسرِ تعطيه المراماً

(الموسوي، ١٩٨٧م/٣٠)

٣. الاغتراب السياسي: وهو أشدّ اغتراب واجهه الشعراء المهاجرون، حيث لا تكاد تجد شاعراً مهاجراً عراقياً إلا وكان للظروف السياسية الأثر البالغ في اغترابه. وقد اشترك جميعهم في الشكوى من الظروف التي ألمت بالعراق وديكتاتورية القمع التي اضطرّتهم للخروج أو اللجوء إلى بلدان قد لا يمتنون إليها بصلة أحياناً. ولأنّ المجال يضيق بنا في التطرّق إلى جميع النماذج، فإننا نقتصر على الشاعر أحمد مطر لأنّه اختصّ

ج) انقلاب الموازين وحكومة الأراذل: لا شك أن أهم عامل لظهور الحكومات الجائرة هو انقلاب الموازين، فلو كان في رأس الأنظمة العربية التعسفية أناس أولو حكمة ودراية وعقل لهانت المصيبة، إلا أن الذين تربعوا على العرش في العراق، ما هم إلا حثالات امتهنوا الإرهاب، والغدر، والمكر وماضيهم خير شاهد على ذلك. هذا فضلاً عن سياسات الدمار التي مارسوها بحق العراق والتي لا يقدم الناس عليها أسفهم:

«رأيتُ جرداً يخطب اليوم عن النظافة/ويُنذر الأوساخ بالعقاب/وحواله يصفق الذباب!» (المصدر السابق: ١١)

لكن كيف تسلّم هؤلاء الأشرار السلطة؟ ومن أين جاؤوا بشرعية أنظمتهم؟ هل للديمقراطية دخل في ذلك؟ أم إنهم استمدوا شرعيتهم من نظام رباني؟ الجواب يكمن في اللافتة التالية:

«أحضر سلّة/ضع فيها أربع تسعات/ضع صحفاً منحطة/ضع مذيعاً/ضع بوقاً/ضع طبله/ضع شعراً أحمر/ضع جبلاً/ضع سكيناً/ضع قفلاً/وتذكر قفله/ضع كلباً يعقر بالجملة/يسبق ظله/يلمح حتى اللا أشياء/ويسمع ضحك النملة/واخلط هذا كله/وتأكد من غلق السلّة/ثم اسحب كرسياً واقعد/فلقد صارت عندك.. دولة!» (المصدر السابق: ١٠٥)

نتائج خالص إليها هذا المقال

إنّ الاغتراب قديم قدم الإنسان، لكنّه في عصرنا الحاضر اتخذ أبعاداً معقّدة، خاصّة فيما يرتبط بالدول العربية، وذلك لسياسات القمع والاستبداد التي تمارس فيها.

إنّ الشعراء العراقيين المهاجرين، والمهجرّين، عانوا اغتراباً مضاعفاً متمثلاً في عيش المنافي، وتعرضهم لسياسات القمع الرهيبة في العراق، وانقلاب الموازين بزوال الخير وسيادة الشر، والتطلع نحو المنقذ العالمي وعهده الموعود.

«تت عن بيت صديقي/فسألتُ العابرين/قيل لي: امشِ يساراً/استرى خلفك بعض المخبرين/أخذ لدى أولهم/سوف تلاقى مخبراً/يعمل في نصب كمين/أتجه للمخبر البادي أمام المخبر الكامن واحسب سبعة.. ثم توقف/تجد البيت وراء المخبر الثامن في أقصى اليمين/حفظ الله أمير المخبرين/فلقد أتحّم بالأمن بلاد المسلمين/أيها الناس اطمئنوا/هذه أبوابكم محروسة في كل حين/فادخلوها.. بسلام آمين!» (مطر، مصدر سابق/٥٢)

والإنسان كل إنسان له ملف منذ نعومة أظفاره، تدون فيه كل صغيرة وكبيرة، يظفر بها جهاز المخابرات المعني بالحفاظ على مصالح الحاكمين:

«المرء في أوطاننا/معتقل في جلده/منذ الصغر/وتحت كل قطرة من دمه/محتبئ كلب أثر/بصماته لها صور/أحلامه لها صور/المرء في أوطاننا/ليس سوى إضبارة/غلافها جلد بشر/أين المفر؟» (المصدر السابق/٥٤)

إنّ كل ما من شأنه الخدش بأمن النظام لا بد أن يُستجوب. فكثير من الذين اعتقلوا وزج بهم في غياهب السجون، لم تكن تهمتهم سوى القرابة بأناس محسوين على الناشطين السياسيين. اقرأ هذه اللافتة ولا تستغربها، فهي ضرب من الواقع المر الذي ألمّ بالعراق أيام الحكم البعثي الجائر:

«كنت أمشي في سلام/عازفاً عن كل ما يخدش إحساس النظام/لا أسمع لا أنظر لا أبلغ ريفي/لا أروم الكشف عن حزني وعن شدة ضيقي/لا أميط الجفن عن دمي/ولا أرمي قناع الابتسام/كنت أمشي.. والسلام/إذا بالجند قد سدوا طريقي/ثم قادوني إلى الحبس../وكان الإتهام: أن شخصاً مرّ بالقصر وقد سبّ الظلام/قبل عام/ثم بعد البحث والفحص الدقيق/علم الجند بأن الشخص هذا/كان قد سلّم في يوم/على جار صديقي!» (المصدر السابق: ٧٧)

- [٩] جبرا، إبراهيم جبرا. (١٩٨٩م) تأملات في بنيان مرمري، ط١، منشورات رياض الريس، لندن، بريطانيا.
- [١٠] جمال الدين، مصطفى. (١٩٩٥م) الديوان، ط١، الناشر المؤلف عن طريق دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان.
- [١١] جميل، جواد. (١٩٩١م) يسألونك عن الحجاره، ط١، دار الفرات، بيروت، لبنان.
- [١٢] الحمداني، أبو فراس الحرث بن سعيد. (١٩٨٧م) الديوان، بتحقيق الدكتور محمد التونجي، ط١، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، سورية.
- [١٣] راضي جعفر، محمد. (١٩٩٩م) الإغتراب في الشعر العراقي، ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية.
- [١٤] العلوي، حسن. (١٤١١هـ) العراق دولة المنظمة السريّة، ط١، انتشارات الشريف الرضي، طهران، ايران.
- [١٥] فهمي، ماهر حسن. شعر الإغتراب في الأدب العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد ٥٧، ١٩٦٥م، ١٣٢ إلى ١٤٨.
- [١٦] مروّة، محمد رضا. (١٩٩٠م) الصعاليك في العصر الجاهليّ، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.
- [١٧] مطر، أحمد. (٢٠٠١م) الأعمال الشعرية الكاملة، دار الساقى، لندن، بريطانيا.
- [١٨] الموسوي، مدين. (١٩٨٧م) أوراق الزمن الغائب، ط١، دار الزهراء، بيروت، لبنان.
- [١٩] ———، مدين. (١٩٩٢م) كان لنا وطن، ط١، دار نداء الرافدين، بيروت، لبنان.
- [٢٠] الوائلي، أحمد. (١٤٢٤هـ) ديوان الشيخ أحمد الوائلي، ط٢، الناشر السيد ميثم الخرساني، قم، ايران.
- [٢١] الوردي، علي. (د.ت) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، دون معلومات عن الناشر ومحل النشر.

إنّ اغتراب الشعراء العراقيين المهاجرين منشأه الإلتزام في غالبيتهم، سواء الإلتزام الديني، أو الإيديولوجي. وقلّما تجد اغتراباً ناشئاً عن التفلّت الأخلاقي والإنحطاط الشخصي لديهم.

المراجع

- [١] الأحمد النحفي، إبراهيم. (١٩٩٧م) هل قلت شيئاً يا وطن، باهتمام عبود الأحمد النحفي وإعداده، الناشر عبود الأحمد النحفي، قم، ايران.
- [٢] الأحمد النحفي، عبود. (١٩٩٧م) اهتزاز الذاكرة، دون معلومات عن الناشر ومحل النشر.
- [٣] بدوي، عبده. (١٩٧٣م) الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، القاهرة، مصر.
- [٤] البرقوقي، عبد الرحمن. (٢٠٠٦م) شرح ديوان المتنبي، بمراجعة يوسف البقاعي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- [٥] بركات، حليم. (٢٠٠٦م) الاغتراب في الثقافة العربية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- [٦] البستاني، فؤاد أفرام. (١٩٩٣م) المجاني الحديثة عن مجاني الأب شيخوخو، ط٤، دار المشرق بيروت، لبنان.
- [٧] بنت الشاطي، عائشة عبدالرحمن. (١٩٧٠م) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، ط١، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- [٨] البياتي، عبدالوهاب. (١٩٧١م) ديوان عبدالوهاب البياتي المجلد الأول، ط١، دار العودة، بيروت، لبنان.

پدیده غربت در شعر عربی با بررسی موردی شاعران عراقی مهاجر

جعفر دلشاد^۱، عبدالغنی ایروانی زاده^۲، حامد صدقی^۳، سید عدنان اشکوری^۴

تاریخ دریافت: ۱۳۸۶/۶/۳ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۶/۶/۲۶

اصطلاح (اغتراب) یا (Alienation) دارای مفاهیم و مدلولات فراوانی است. به طوری که اندیشمندان عرصه علوم انسانی را تعاریفات گوناگون و متفاوتی از آن است.

یکی از مدلولات این اصطلاح، غربت زدگی و احساس بیگانگی و ناهمگونی با جامعه پیرامون است. این احساس به طور عمدی یا ناخودآگاه بر رفتار و گفتار افراد غربت زده اثر می‌گذارد، به ویژه اگر این افراد از گروه هنرمندان و شاعران باشند. تاریخ ادبیات عربی مملو از نمونه‌های فراوان غربت زدگی و جامعه‌گریزی است.

در این گفتار سعی بر آن است که ضمن ارائه نمونه‌هایی از غربت زدگی در شعر عربی، علل و اسباب این پدیده تبیین شود، و سپس پدیده حاد غربت زدگی و جامعه‌گریزی در شعر مهاجران عراقی بررسی گردد. عوامل فراوانی باعث بروز اغتراب در جوامع بشری‌اند از جمله: ناهمگونی قومی و نژادی جامعه به گونه‌ای که منجر به بروز تبعیض گردد، سلطه‌گری و زور مداری حاکمان، اختلاف طبقاتی و بی‌عدالتی اجتماعی، سنت زدگی افراطی و غیر عقلایی، و وابستگی اقتصادی، سیاسی کشور به کشورهای سلطه‌جو. عوامل فوق، که در دوران حاکمیت حزب بعث بر عراق نمود بیشتری داشت، و نیز بروز جنگ‌های خانمان سوزی که هیچ توجیه منطقی نداشت، منجر به مهاجرت میلیون‌ها مخالف گردید. در پایان این گفتار به سه نوع از اغتراب (مکانی، زمانی و سیاسی) که خصلت عمومی و مشترک در شعر مهاجران عراقی است اشاره نمودیم.

واژگان کلیدی: اغتراب، شعر مهاجران عراقی، عوامل بروز اغتراب

۱. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه اصفهان

۲. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه اصفهان.

۳. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت معلم تهران.

۴. دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه اصفهان.